الحياء في مجتمع النبوة.
قراءة في الماهية والتجليات.

أ.د فتيحة محمد

بوشعالة

مقدمة:

تتمحور فكرة هذه الورقة البحثية حول قراءة فاحصة لحقيقة الحياء وتجلياته في المجتمع المسلم الأول، والبحث في ماهيته وكنهه، وعلاقته بالفطرة، وعلاقته بالإيمان، وعلاقته بالإسلام، والأبعاد العقدية والتشريعية والسلوكية لهذا الخلق. وتداعيات كل ذلك على الأمة وعلى البشرية، ومخاطر إسقاط هذه القيمة وانسلاخ البشرية منها، وعلاقة ذلك بمكائد الشيطان وتوعده آدم عليه السلام، وامتداد كيده إلى يومنا بوسائل مختلفة.

ثم الوقوف على نماذج من تلك القيمة وكيف تجسدت في مجتمع النبوة، المجتمع الذي يمثل النموذج المحتذى عند الشعوب المسلمة قاطبة، أين نقف على حياء الصحابة من رسول الله ﷺ، بين الصحابيات والنبي ﷺ، بين الرجال والنساء، بغرض استخلاص أبعاد ذلك الخلق في نفوس وعقول الناس، ومدى التخلق به وأثر ذلك في السلوك الاجتماعي للأمة، ومقاصد استحسان الدين له والحث عليه، والبعد العقدي للحياء، وما لذلك من أثر في استقامة الفطرة الإنسانية، ووسطية الإسلام في هذا الخلق. فلم يكن الحياء عائقا في مطالبة بعض الصحابيات بحقوقهن من الرجال، ولم يمنع كبار الصحابة من التعلم من أمهات المؤمنين والرجوع إليهم في مسائل الشرع، ولم يكن حائلا دون تفقه النساء في دينهم، ولم يمنع الجيل الأول من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث أصّل مفهوم الوسطية لضبط حقيقة الحياء وكيفية ممارسته بعيدا عن المفاهيم الخاطئة.

ومن هنا يحاول هذا البحث الموسوم ب : (**الحياء في مجتمع النبوة، قراءة في الماهية والتجليات**) للإجابة على إشكالية مفادها : ما هي حقيقة الحياء وكيف تجلى في مجتمع النبوة؟ وفق خطة هي كالآتي:

المبحث الأول: ماهية الحياء وأبعاده.

المطلب الأول: مفهوم الحياء

المطلب الثاني: أنواع الحياء

المطلب الثالث: أبعاد خلق الحياء وعلاقته بالفطرة (الإسلام دين الحياء)

المطلب الرابع: آثار غياب الحياء.

المبحث الثاني: تجليات الحياء في مجتمع النبوة بين الفطرة والتشريع (الوسطية)

المطلب الأول: إشكالية الحياء وطلب العلم

المطلب الثاني: إشكالية الحياء والمطالبة بالحقوق

المطلب الثالث: إشكالية الحياء وقول الحق.

المطلب الرابع: الحياء وفقه الموازنات

خاتمة.

المبحث الأول: ماهية الحياء ومقاصده

المطلب الأول: مفهوم الحياء

عرف الحياء تعاريف عديدة متقاربة في المعنى، حيث اتفقت كلها على كون الحياء انقباض في النفس يمنع صاحبه عن كل قبيح، "قال الجاحظ: الحياء من قبيل الوقار وهو غضّ

الطّرف والانقباض عن الكلام حشمة للمستحيا منه، وهو عادة محمودة ما لم تكن عن عيّ، ولا عجز"[1]

وذكر ابن مسكويه: أنّ الحياء من الفضائل الّتي تدخل تحت العفّة، بل هو أوّلها ثمّ عرّفه بقوله:

"الحياء: هو انحصار النّفس خوف إتيان القبائح والحذر من الذّمّ والسّبّ."[2]

"والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم: وهو الوسط بين القباحة والوقاحة، والجراءة في الشر وعدم المبالاة، وبين الخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً."[3]

ومن هنا يمكن القول أن الحياء صفة للنفس البشرية تمنعها من ارتكاب كل فاحش، وتدفعها إلى الابتعاد عنه.

علاقة الحياء بالخجل

" أصل الخجل في اللغة: الكسل والتواني وقلة الحركة في طلب الرزق. ثم كثر استعمال العرب له حتى أخرجوه إلى معنى الانقطاع عن الكلام والحصر."[4]

"والْفرق بَين الخجل وَالْحيَاء: أَن الخجل معنى يظْهر فِي الْوَجْه لِغَمّ يلْحق الْقلب عِنْد ذهَاب حجَّة أَو ظُهُور على رِيبَة وَمَا أشبه ذَلِك فَهُوَ شَيْء تَتَغَيَّر بِهِ الهيبة، وَالْحيَاء هُوَ الارتداع بِقُوَّة الْحيَاء وَلِهَذَا يُقَال فلَان يستحي فِي هَذَا الْحَال أَن يفعل كَذَا وَلَا يُقَال يخجل أَن يَفْعَله فِي هَذِه الْحَال لِأَن هَيْئَة لَا تَتَغَيَّر مِنْهُ قبل أَن يفعل فالخجل مِمَّا كَانَ وَالْحيَاء مِمَّا يكون وَقد يسْتَعْمل الْحيَاء مَوضِع الخجل توسعا." [5] ويفهم من هذا أن الخجل حالة مرضية وتصرف غير سوي من الشخص، أي هو حاجز نفسي يجعله يحجم عن الكلام والتصرف حيال موقف ما.

---

[1] - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، مجموعة من الباحثين، (5/ 1797)

[2] - تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، تح ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، ص 28.

[3] - الترغيب والترهيب للمنذري (2/ 481)، تح مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر (تصوير/ دار إحياء التراث العربي - بيروت)، الطبعة: الثالثة، 1968 م

[4]- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ)، تح حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1992، (1/ 248).

[5] - الفروق اللغوية، العسكري (ص: 244)

وهذا ما أشار إليه ابن الأثير بقوله: "وَقِيلَ: الْخَجِلُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَى الرَّجُلِ أمْرُه فَلَا يَدْري كيف المخرج منه."[6]

علاقة الحياء بالإيمان:

جاء في الحديث (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار ، وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعه فإن الحياء من الإيمان)[7]

وجاء في الحديث المتفق عليه (الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)[8] ينص هذان الحديثان على أن الحياء ليس مجرد خلق بل هو جزء من الإيمان، ذلك أن الحياء يمنع من كل قبيح وكذلك الإيمان إذا سكن في قلب المؤمن منعه من ارتكاب الفواحش والقبائح كلها يقول الأزهر: "(الحَيَاءُ شعبةٌ من الْإِيمَان) . وَاعْترض هَذَا الحديثَ بعضُ النَّاس، فَقَالَ كيفَ جعل الحيَاءَ وَهُوَ غرِيزةٌ شُعْبَة من الْإِيمَان وَهُوَ اكتسابٌ؟ وَالْجَوَاب فِي ذَلِك أَن المستحِي يَنْقَطِع بالحياءِ عَن المعَاصِي وَإِن لم تكن لَهُ تقِيَّةٌ، فَصَارَ كالإيمان الَّذِي يُقْطعُ عَنْها ويحول بَين الْمُؤمنِينَ وبيْنهَا، وَكَذَلِكَ قِيلَ إِذا لم تَسْتَحِ فاصنعْ مَا شِئْتَ، يُرَادُ أَنَّ من لم يَسْتَحِ صَنَع مَا شَاءَ لأنّه لَا يكون لَهُ حياءٌ يَحْجِزُه عَن الفواحِش فيتهافَتُ فِيهَا وَلَا يتوقّاها، وَالله أعلم."[9]

وهذا ما أورده ابن بطال في شرحه لحديث (الحياء من الإيمان): " قال ابن قتيبة: معنى هذا الحديث أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنعُ الإيمان، فجاز أن يُسمى إيمانًا، لأن العرب تُسمى الشيء باسم ما قام مقامه، أو كان شبيهًا به، ألا ترى أنهم يُسمون الركوع والسجود صلاةً، وأصل ذلك الدعاء، فلما كان الدعاء يكون في الصلاة سميت صلاة، وكذلك الزكاة هي تثمير المال ونماؤه، فلما كان النماء يقع بإخراج الصدقة عن المال سمِّى زكاةً. قال غيره: وهذا الحديث يقتضى الحضّ على الامتناع من مقابح الأمور ورذائلها، وكل ما يحتاج إلى الاستحياء من فعله والاعتذار منه."[10]

ووافقهم ابن عبد البر المعنى في شرحه للحديث حيث قال: "فإن الحياء من الإيمان ومعنى هذا الحديث والله أعلم أن الحياء يمنع من كثير من الفحش والفواحش ويشتمل على كثير من

---

[6] - النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (2/ 11)

[7] - متفق عليه، أخرجه البخاري في - كتاب الإيمان، باب : الحياء من الإيمان - حديث:24، وفي كتاب الأدب باب الحياء - حديث:5773، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان - حديث:77. وغيرهما.

[8] - متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان - حديث:9، ومسلم في كتاب الإيمان باب شعب الإيمان - حديث:75 و76. واللفظ لمسلم.

[9] - تهذيب اللغة ، الأزهري، (5/ 187)

[10] - شرح صحيح البخاري، ابن بطال (1/ 76).

أعمال البر وبهذا صار جزءا وشعبة من الإيمان لأنه وإن كان غريزة مركبة في المرء فإن المستحي يندفع بالحياء عن كثير من المعاصي كما يندفع بالإيمان عنها إذا عصمه الله فكأنه شعبة منه لأنه يعمل عمله فلما صار الحياء والإيمان يعملان عملا واحدا جعلا كالشيء الواحد وإن كان الإيمان اكتسابا والحياء غريزة والإيمان شعب كثيرة..."[11]

المطلب الثاني: أنواع الحياء:

الحياء نوعان فطري ومكتسب، يقول المناوي: " وهو نوعان: نفساني وهو المخلوق في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة، والجماع بين الناس، وإيماني وهو أن يمتنع المسلم عن فعل المحرم خوفا من الله."[12]

والحياء مقترن بالفطرة وذلك هو الجبلي، ومقترن بالإيمان وذلك المكتسب. يقول النووي: " وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الشُّرَّاحِ إِنَّمَا جُعِلَ الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَانَ غَرِيزَةً لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ تَخَلُّقًا وَاكْتِسَابًا كَسَائِرِ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَقَدْ يَكُونُ غَرِيزَةً وَلَكِنَّ اسْتِعْمَالَهُ عَلَى قَانُونِ الشَّرْعِ يَحْتَاجُ إِلَى اكْتِسَابٍ وَنِيَّةٍ وَعِلْمٍ فَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِهَذَا وَلِكَوْنِهِ بَاعِثًا عَلَى أَفْعَالِ الْبِرِّ وَمَانِعًا مِنَ الْمَعَاصِي.."[13]

وهذا ما فصله أبو العباس القرطبي بقوله:" والحياءُ: انقباضٌ وحِشمَةٌ يجدها الإنسانُ مِن نفسه عندما يُطَّلَعُ منه على ما يُستَقبَحُ ويُذَمُّ عليه، وأصلُهُ غريزيٌّ في الفطرة، ومنه مكتسَبٌ للإنسان؛ وهذا المكتَسَبُ: هو الذي جعلَهُ الشرعُ من الإيمان، وهو الذي يُكلَّفُ به.

وأمَّا الغريزيُّ فلا يكلَّفُ به؛ إذ ليس ذلك مِن كسبنا، ولا في وُسعنا، ولم يكلِّفِ اللهُ نفسًا إلاَّ وسعها؛ غير أنَّ هذا الغريزيَّ يَحمِلُ على المكتسب، ويُعِينُ عليه؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: الحَيَاءُ لاَ يَأتِي إلاَّ بِخَيرٍ، والحَيَاءُ خَيرٌ كُلُّهُ."[14]

"وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جُمِعَ لَهُ النَّوْعَانِ فَكَانَ فِي الْغَرِيزِيِّ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ فِي الْحَيَاءِ الْمُكْتَسَبِ فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم..."[15]

وجاء في حيائه ﷺ : أبهـ تجـ تحـ تخـ تمـ تهـ ثمـ جمـ حمـ خمـ ً

---

[11] - " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر، (9/ 234)

[12] - التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، (ص: 150)

[13] - شرح النووي على مسلم ، النووي، (2/ 5)

[14] - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العباس القرطبي، (1/ -218-217)

[15] - " فتح الباري، ابن حجر، (10/ 522)

وفي الحديث المتفق عليه (كان النبي صلى الله عليه وسلم " أشد حياء من العذراء في خدرها).[16]

ومن حيائه الفطري ﷺ أيضا حديث: (عائشة تقول: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجارية ينكحها أهلها، أتستأمر أم لا؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم، تستأمر "، فقالت عائشة : فقلت له : فإنها تستحي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فذلك إذنها ، إذا هي سكتت.)[17]

من الحياء الفطري قوله تعالى

ومن مثال المكتسب قوله ﷺ: (استحيوا من الله عز وجل حق الحياء، قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحي، والحمد لله، قال: " ليس ذلك، ولكن من استحيى من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، وليحفظ البطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة، ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله عز وجل حق الحياء)[18].

ومنه حديث معاوية بن حيدة (قلت يا رسول الله : عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال " احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك " قال : قلت : يا رسول الله ، إذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال : " إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها " قال : قلت : يا رسول الله إذا كان أحدنا خاليا ؟ قال : " الله أحق أن يستحيا منه من الناس.)[19]

ويفهم من هذا أن الحياء صفة مجبولة عليها النفس البشرية، هناك من ينميها ويعمل على ترسيخها وذلك باتباع تعاليم الإسلام، وهذا ما يشير إليه الحديث (إنما العلم بالتعلم ، وإنما الحلم بالتحلم، من يتحرى الخير يعطه ، ومن يتق الشر يوقه)[20]، وهناك من يهملها حتى تضمر وقد يقودها الإهمال إلى الانحراف عن الفطرة السوية.

---

16 - متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم - حديث:3390، ومسلم في كتاب الفضائل
باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم - حديث:4386.

17 - متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها - حديث:4846، ومسلم في كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق - حديث:2622، واللفظ له.

18 - أخرجه، الترمذي في جامعه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه - باب حديث:2440، والحاكم في مستدركه كتاب الرقاق حديث:7990، وأحمد في مسنده مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه - حديث:3565، وقال الألباني: حسن لغيره.،

19 - أخرجه الترمذي في جامعه أبواب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في حفظ العورة حديث:2789، وأبو داود في سننه كتاب الحمام، باب ما جاء في التعري - حديث:3519، والبخاري معلقا في كتاب الغسل، باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة، واللفظ للترمذي، وقال عنه حسن وحسنه الألباني.

20 - أخرجه الطبراني في الأوسط، باب الألف، باب من اسمه إبراهيم - حديث:2716، والبخاري معلقا في باب : العلم قبل القول والعمل من كتاب العلم، واللفظ للطبراني. وقال الألباني: حسن لغيره.

ولهذا المعنى عرف الراغب الأصفهاني الوقاحة والتي هي نقيض الحياء بقوله: " والوقاحة: مذمومة بكل لسان، إذ هي انسلاخ من الإنسانية، وحقيقتها لجاجة النفس في تعاطي القبيح."[21]
فهي انحدار على درجة الإنسانية وتدني إلى البهيمية.

المطلب الثالث: حقيقة الحياء وعلاقته بالفطرة (الإسلام دين الحياء)

الحياء فطرة فطر الله العباد عليها، حيث تجد كل نفس بشرية وازع داخلي فيها يمنعها من إتيان كل قبيح، مثل التعري أمام الخلق، أو الجماع بين الناس، أو غير ذلك من الأفعال المستقبحة، ولا فرق في ذلك بين المسلم وغيره من البشر، إلا من تشوهت فطرته.

ويدفعنا هذا للحديث عن مفهوم الفطرة ما هي، وذلك من خلال حديث (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " ، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه : فطرة الله التي فطر الناس عليها)[22].

قال الفيروزآبادي: "كل مولود يولد على الفطرة، أي على الجبلة القابلة لدين الحق." وقال المناوي: "الفطرة: الجبلة المتهيئة لقبول الدين."، وقال الراغب: " هي مل ركب الله في الإنسان من قوته على معرفة الإيمان." وقال أبو البقاء: "هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته."

وهناك فرق بين الغريزة والفطرة، حيث جاء في معجم لغة الفقهاء: "الغريزة بفتح الغين والزاي جمعها غرائز، الدافع للإنسان إلى العمل من غير فكر وهي جزء من الفطرة." فالغريزة مثل حب الأكل والشرب والجماع وحب التملك، وحب السيطرة، والغضب ، التي يشترك فيها الإنسان والحيوان، وينفرد الإنسان بأشياء لها علاقة بالعقل والروح وهذه هي الفطرة، مثل الميل للتدين وحب التعلم، والخلاق الفاضلة.

وقد وقفت على هذا الفرق من التعبير القرآني عن الغريزة وعن الفطرة، فحين عبر عن الغريزة قالﱡ ﱠ □ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بمبه تج تح تخ
تمته ثم □ جم □ حم ﱠ آل عمران: ١٤
ولكن حين عبر عن الميل للتدين ومعرفة الخالق استعمل مصطلح الفطرة ﱡ ﱠ تخ تم ته
ثم□ جم □ حم □ خم □□ □ سم □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ الروم: ٣٠

---

[21] - الذريعة الى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تح أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، 2007 م
ص: 207.

[22] - متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات - حديث:1304، ومسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار - حديث:4910.

يقول ابن عطية في تفسير الفطرة: " والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة في نفس الطفل التي هي معدة مهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به، فكأنه قال فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الذي هو الحنيف وهو فِطْرَتَ اللَّهِ الذي على الإعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض."[23]

فالفطرة مخصوصة بالجانب الروحي لا الترابي. وهذا الذي عناه الحديث (كل مولود يولد على الفطرة...).

وإذا أضفنا لهذا الحديث، حديث (لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء)[24]

توصلنا إلى أن الحياء هو من الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فعلاقة الحياء بالإسلام: (كل مولود يولد على الفطرة،) فالفطرة هي الإسلام، و(الحياء خلق الإسلام،) في علاقة متعدية: **الحياء هو رمز الفطرة،** وهذا ما تجسد في الجنة من أبينا آدم وأمنا حواء، لما بدت لهما عوراتهما ُآ□ □□ □ لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ ً الأعراف/22
حيث كان الحياء هو أول فطرة بدرت منهما مما فطرا عليه، أي سارعا إلى تغطية عوراتهما حياء ممن حولهم، أما ما أغراهما به إبليس من طلب البقاء وحب التملك فهو لا علاقة له بالروح، بل هو من الغرائز الشهوانية. ولعل هذا ما عناه ابن القيم بحديثه عن الحياء حين قال: " ثم تأمل هذا الخلق الذي خص به الانسان دون جميع الحيوان وهو خلق الحياء الذي هو من افضل الاخلاق واجلها واعظمها قدرا واكثرها نفعا بل هو خاصة الانسانية فمن لا حياء فيه ليس معه من الانسانية الا اللحم والدم وصورتهم الظاهرة كما انه ليس معه من الخير شيء ولولا هذاالخلق لم يقر الضيف ولم يوف بالوعد ولم يؤد امانة ولم يقض لاحد حاجة ولا تحرى الرجل الجميل فآثره والقبيح فتجنبه ولا ستر له عورة ولا امتنع من فاحشة وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئا من الامور المفترضة عليه ولم يرع لمخلوق حقا ولم يصل له رحما ولا بر له والدا فإن الباعث على هذه الافعال إما ديني وهو رجاء عاقبتها الحميدة وإما دنيوي علوي وهو حياء فاعلها من الخلق قد تبين انه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها "[25]

---

[23] - تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 336)

[24] - أخرجه مالك في الموطأ كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في الحياء - حديث:1628، قال الألباني: صحيح لغيره.

[25] - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، (1/ 277)

وهذا مقصد حديث (لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء) يعني الصبغة العامة والسمة المشتركة البارزة لكل تعاليم الإسلام: عقيدة، شريعة وسلوك:

التشريع: معظم التشريعات يتجلى فيها مقصد الحياء: الحجاب الذي هو واجب في حق أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وهو ما يكون بينهن وبين الرجال من حائل عند مخاطبتهن، فهو حفاظ على حيائهن وحرمتهن لمكانتهن من رسول الله ﷺ، وحث للصحابة على الحياء منهن، وكذا لباس المرأة المسلمة هو رمز للحياء والعفة وستر العورة، لباس الرجل أيضا وتبيين حدود العورة فيه من باب الحفاظ على الحياء بين المسلمين، تحريم الزنا تشريع للحفاظ على حياء المجتمع وحرمته وحشمته ومنع ذيوع الفاحشة فيه، وكذا تحريم كل الفواحش، وتحريم الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية عنه أيضا حفاظا على حيائها وحيائه وتجنبا لهتك ستر الله بينهما.

العقيدة: ويتجلى خلق الحياء في الجانب العقدي في صلته بأسماء الله الحسنى، فمن عرف أن ربه هو السميع استحيى من أن يقول فاحشا أو منكرا أو زورا، ومن عرف أن ربه بصير استحيى من أن يراه على معصية، وكذا من عرف أنه هو الرقيب، الشهيد، المحيط، الواسع، عالم الغيب والشهادة، كل تلك الأسماء والصفات الإلهية تمنعه من الإقدام على المعصية حياء من الله عز وجل. ويصدق هذا حديث (يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك، فقال: الرجل يكون مع الرجل؟ قال: إن استطعت أن لا يراها أحد فافعل، قلت: والرجل يكون خاليا، قال: فالله أحق أن يستحيا منه.)[26]

السلوك: يعتبر الحياء مصدر لكل الأخلاق الحميدة: الحشمة، الوقار، المروءة، غض البصر، تجنب كل الفواحش، تقوى الله عز وجل، مراقبة الله عز وجل، فإذا فُقِد الحياء من الله تعالى لم تنفع مع ذلك طاعة، وهذا ما يشهد له حديث (لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا، فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قال: " أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها)[27].

المطلب الرابع: إسقاط الحياء انقلاب على الفطرة.

الإنسان المعاصر الذي أنتجته المدنية الغربية، إنما هو كما يقول طه عبد الرحمن " فكرة رحالة لا تأوي إلى مكان بعينه، بل مكانها هو العالم بأسره. ..والسمة الأساسية التي تميز هذه الفكرة هي أنها ضد الفطرة، ولا يخفى على ذي بصيرة أن الفطرة هي مستودع القيم

---

[26] - أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في حفظ العورة حديث:2764، وقال حديث حسن، وأبو داود في سننه، كتاب الحمام، باب ما جاء في التعري - حديث:3519، وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب التستر عند الجماع - حديث:1916، وقال الألباني: حسن.

[27] - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب - حديث:4243، وقال الألباني: صحيح، والطبراني في الأوسط والصغير، من اسمه عبيد الله، حديث:4734 وحديث:663،

الأخلاقية ذات الأصل الديني، فالإنسان المعاصر إنسان بلا فطرة، ومن كان بلا فطرة الدين كان بلا قلب حي، ومن كان بلا قلب حي كان معدودا في الأموات، فمن مات قلبه مات كله. فإذا الإنسان المعاصر الذي ليس له نور من الدين عبارة عن إنسان ميت."[28]

وهذا ما عناه الحديث النبوي (إن لم تستح فاصنع ما شئت) أي إذا تجردت من أساس القيم الأخلاقية الذي هو الحياء وهو أساس الفطرة، صرت بلا قيم ولا ضوابط حينها يحلو لك فعل ما تشاء لأن قلبك صار ميتا لا ينكر منكرا ولا يعرف معروفا. وقد سماه طه عبد الرحمن حديث (الخروج من الحياء)، ويرى أنه مؤشر على دخول الحضارة المعاصرة في حالة الخيانة، أي خيانة الأمانة التي عرضت على الإنسان.

ويشرح طه عبد الرحمن فكرته قائلا: "أن عدم الاستحياء الذي نص عليه الحديث الشريف ليس مجرد خروج عن الأخلاق، أي انحرافا عنها أو اعوجاجا، بل هو خروج من الأخلاق، أي انفصال كلي عنها، ولا يحصل مثل هذا الانفصال إلا بالاجتثاث من الأصل، وقد ثبت أن أصل الأخلاق هو الحياء، والفاقد للحياء خارج من الأخلاق خروجا مطلقا، للاستئصال الذي تعرض له..."[29]

وربط طه عبد الرحمن إعادة إحياء قلب الإنسان المعاصر بشيء واحد هو الحياء، حين قال في ص17: "إحياء قلب الإنسان المعاصر، على أساس أن هذا الإحياء لا يكون إلا بإعادة الاعتبار للقيمة الخلقية الكبرى، التي هي: الحياء."

ومن هنا كانت أول فطرة تقصد إبليس إفسادها بغواية آدم عليه السلام في الجنة هي الحياء، وأول قيمة أراد إسقاطها هي الستر ً لباس الجسد (العري) ولباس الأخلاق (البذاء)، وهو ما يشتغل عليه منذ تلك اللحظة إلى يومنا هذا، إلى قيام الساعة.
فما أخرج آدم وحواء من الجنة هو هتك الستر عنهما وكشف عوراتهما وخدش حيائهما، مما دفعهما إلى الهرولة لتغطية العورات لأنهما مفطورين على الحياء، وما الأكل من الشجرة إلا وسيلة ً
ولهذا كان الحياء شريعة كل الأنبياء، وهو ما يقرره حديث (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.)[30] لأنه إذا سقط الحياء يتجرأ الإنسان على تحدي خالقه ويستبيح كل الموبقات ويستحل المحرمات دونما خشية، حيث يصبح بلا حاجز يمنعه ويردعه عن المحظور، ولهذا جاء في الحديث (كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله عليه ، فيقول : يا فلان ،

---

[28] - دين الحياء، طه عبد الرحمن، 14/1.
[29] - دين الحياء، طه عبد الرحمن/ 210/1.
[30] - أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت - حديث:5775، وأبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في الحياء - حديث:4185، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد، باب الحياء - حديث:4181، واللفظ للبخاري.

عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه.)[31] ذلك أن المجاهر صار لا يستحي من الله ولا يعبأ بنظره إليه، وكذا لا يستحي من الناس ولا بنظرتهم إليه، في تحد صارخ لله ولدينه ولعقابه، فاستوجب تلك العقوبة.

قال أبو حاتم: " فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة كما أن الواقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوما وتواتر الشر منه موجودا لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها."[32]

ويلخص لنا سيد قطب قصة إبليس مع سيدنا آدم وأمنا حواء في الجنة ويعطينا خلاصتها بقوله: "فاللباس وستر العورة زينة للإنسان وستر لعوراته الجسدية، كما أن التقوى لباس وستر لعوراته النفسية..

والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس، وتعرية النفس من التقوى، ومن الحياء من الله ومن الناس؛ والذين يطلقون ألسنتهم وأقلامهم وأجهزة التوجيه والإعلام كلها لتأصيل هذه المحاولة - في شتى الصور والأساليب الشيطانية الخبيثة - هم الذين يريدون سلب "الإنسان" خصائص فطرته، وخصائص "إنسانيته" التي بها صار إنساناً. وهم الذين يريدون إسلام الإنسان لعدوه الشيطان وما يريده به من نزع لباسه وكشف سوآته ! وهم الذين ينفذون المخططات الصهيونية الرهيبة لتدمير الإنسانية وإشاعة الانحلال فيها لتخضع لملك صهيون بلا مقاومة. وقد فقدت مقوماتها الإنسانية! ."[33]

المبحث الثاني: تجليات الحياء في مجتمع النبوة بين الفطرة والشرع (الوسطية)

الإسلام دين الوسطية والاعتدال، كل تشريعاته لا إفراط فيها ولا تفريط، كل شيء فيه بميزان
أُمَّ □ □ □ □ ٌ ٍ ً ُ ّ ِ ْ □ □ □ ً البقرة: ١٤٣
وكذا الأخلاق الإسلامية نجدها وسطا بين طرفين، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن، الكرم وسط بين الشح والسفه وهكذا، والضابط في كل ذلك هو الشرع وأحكامه وأوامر القرآن والسنة الثابتة.

فكثير من الأخلاق والسجايا نجدها فطرية في الإنسان، جبلية فيه لم يتكلفها، ولكن إذا لم يضبطها بضابط الشرع قد تنحرف عن سياقاتها.

---

[31] - متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه - حديث:5728، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه - حديث:5417. واللفظ للبخاري.

[32] - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص58.

[33] - في ظلال القرآن، سيد قطب، 3/492-493. دار الشروق، القاهرة، ط 10، 1982م.

ومن ذلك خلق الحياء الذي كما دللنا في السابق أنه أصل كل الأخلاق، وأنه فطرة الإسلام وشعار الإسلام، هو جبلي في كل النفوس ابتداء، من التزم شرع الله نمى تلك الفطرة وحافظ عليها وفق ضوابط الشرع، ومن حاد عن طريق الله فسدت فيه تلك الفطرة إلى حد قد تنقلب إلى الضد من أصلها، وهو التدني إلى دون درجة البهائم كما قرر القرآن.ﱡ ﱠ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ الأعراف: ١٧٩

وبما أنه جاء في معنى الحياء أنه وجود حاجز يمنع من ارتكاب الفعل، فإنه تطرح ثمة إشكالات في تجسيد هذه القيمة في حياة الناس، فالحياء يمنع صاحبه من فعل ما يستقبح، وما لا يزينه، وهناك مواقف قد يحجم فيها الإنسان على الفعل لأنها فيها شيء من الحرج الذي تتحسس منه نفسه. مع أن فعله فيه الخير والمصلحة، هنا نجد القرآن الكريم يضع لنا منهجا واضحا في كيفية التصرف في مثل هذه الحالات حين قال تعالى ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ البقرة: ٢٦

وحين قال:ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ الأحزاب:

فالحق لا يستحيا منه ومن قوله ومن فعله، وحين يحجم الإنسان عن فعل ذلك، فقد خرج من الحياء الفطري إلى خلل نفسي، وهو ما يعرف في علم النفس الخجل. وهو كما قال العسكري في فروقه: " أَن الخجل معنى يظْهر فِي الْوَجْه لِغَمّ يلْحق الْقلب عِنْد ذهَاب حجَّة أَو ظُهُور على رِيبَة وَمَا أشبه ذَلِك فَهُوَ شَيْء تَتَغَيَّر بِهِ الهيبة."

المطلب الأول: إشكالية الحياء وطلب العلم

ورد في السنة النبوية كثير من المواقف التي حدثت للصحابة والصحابيات رضي الله عنهم حين كانوا يسألون عن دينهم الرسول ﷺ أو أمهات المؤمنين أو بعضهم البعض، أثبتوا فيها أنهم كانوا يستوعبون جيدا توجيهات القرآن الكريم في أن الحق لا يستحى منه، ومن ذلك:

1- عن عائشة ، (أن أسماء سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض ؟ فقال: تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها ، فتطهر فتحسن الطهور ، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى تبلغ شؤون رأسها ، ثم تصب عليها الماء ، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها " فقالت أسماء : وكيف تطهر بها ؟ فقال : " سبحان الله ، تطهرين بها " فقالت عائشة : كأنها تخفي ذلك تتبعين أثر الدم ، وسألته عن غسل الجنابة ؟ فقال : " تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور أو تبلغ الطهور ، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها ، ثم تفيض عليها الماء " فقالت عائشة : " نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.)[34]

ومن فقه البخاري أنه ترجم للباب بقوله: (كتاب العلم باب الحياء في العلم وقال

[34] - متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب غسل المحيض - حديث:311 ، ومسلم في كتاب الحيض باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع - حديث:526، واللفظ لمسلم.

مجاهد : " لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر) أي أن الحياء في طلب العلم مذموم، لأنه يمنع من التعلم الذي هو واجب، فذكر أثر مجاهد رحمه الله.

فهذه الصحابية لم يمنعها الحياء من أنتسأل رسول الله ﷺ عن خصوصيات النساء في الطهارة، وفي أدق التفاصيل حتى أن رسول الله ﷺ استحى من أن يبين لها الطريقة، فأفهمتها السيدة عائشة رضي الله عنها. (ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استحيا ، فأعرض بوجهه ، أو قال : " توضئي بها " فأخذتها فجذبتها ، فأخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وسلم)

2- حديث السائلة في موسم الحج: (عن عبد الله بن عباس ، أنه قال : كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه ، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، قالت : يا رسول الله ، إن فريضة الله على عباده في الحج ، أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : " نعم " ، وذلك في حجة الوداع)[35] فهذا الصحابية رضي الله عنها لم يمنعها حياؤها وحشمتها من أن تذهب تسأل النبي ﷺ وسط جموع من الناس في الحج ومعه رجل على راحلته، ولم يستهجن ذلك منها.

3- وهذا الحديث نموذج من ترك طلب العلم بسبب الخجل، وما يفوت الإنسان على نفسه من الخير، (عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وهي مثل المسلم ، حدثوني ما هي ؟ " فوقع الناس في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنها النخلة ، قال عبد الله : فاستحييت ، فقالوا : يا رسول الله ، أخبرنا بها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هي النخلة " قال عبد الله : فحدثت أبي بما وقع في نفسي ، فقال : " لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا)[36]، حيث فوت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على نفس خير إجابة النبي ﷺ بأنه خجل أن يجب، وقد لامه عمر رضي الله عنه في ذلك.

ومن فقه البخاري ترجم للباب بقوله (باب الحياء في العلم).

4- حديث أم سليم: (عن أم سلمة ، قالت : جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا رأت الماء " فغطت أم سلمة ،

---

[35] - متفق عليه، أخرجه البخاري في مواضع منها، كتاب الحج، أبواب المحصر وجزاء الصيد - باب حج المرأة عن الرجل، حديث:1765، ومسلم في كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما - حديث:2451، واللفظ لمسلم.

[36] - متفق عليه، أخرجه البخاري في مواضع كثيرة منها - كتاب العلم، باب الحياء في العلم - حديث:130، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة - حديث:5134. واللفظ للبخاري.

تعني وجهها ، وقالت : يا رسول الله أوَتحتلم المرأة ؟ قال : " نعم ، تربت يمينك ، فبم يشبهها ولدها)[37] من فقهها ابتدأت كلامها ببيان أن الحق لا يستحي منه لمَ في الموضوع من حرج.

5- حديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (قال : اختلف في ذلك رهط من المهاجرين ، والأنصار فقال الأنصاريون : لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء . وقال المهاجرون : بل إذا خالط فقد وجب الغسل ، قال : قال أبو موسى : فأنا أشفيكم من ذلك فقمت فاستأذنت على عائشة فأذن لي ، فقلت لها : يا أماه - أو يا أم المؤمنين - إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك ، فقالت : لا تستحيي أن تسألني عما كنت سائلا عنه أمك التي ولدتك ، فإنما أنا أمك ، قلت : فما يوجب الغسل ؟ قالت على الخبير سقطت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل)[38] فالصحابة كانوا يوازنون بين الحياء الفطري وبين طلب العلم، فيقدمون ما هو واجب، دون التفريط في أدبهم مع أمهات المؤمنين.

والأحاديث كثيرة في هذا الباب، علق عليها ابن حجر بقوله: " قَوْلُهُ (بَابُ الْحَيَاءِ) أَيْ حُكْمِ الْحَيَاءِ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ وَهُوَ الشَّرْعِيُّ الَّذِي يَقَعُ عَلَى وَجْهِ الْإِجْلَالِ وَالِاحْتِرَامِ لِلْأَكَابِرِ وَهُوَ مَحْمُودٌ وَأَمَّا مَا يَقَعُ سَبَبًا لِتَرْكِ أَمْرٍ شَرْعِيٍّ فَهُوَ مَذْمُومٌ وَلَيْسَ هُوَ بِحَيَاءٍ شَرْعِيٍّ وَإِنَّمَا هُوَ ضَعْفٌ وَمَهَانَةٌ وَهُوَ الْمُرَادُ بقول مُجَاهِد لَا يتَعَلَّم الْعلم مستحي.... وَكَأَنَّهُ أَرَادَ تَحْرِيضَ الْمُتَعَلِّمِينَ عَلَى تَرْكِ الْعَجْزِ وَالتَّكَبُّرِ لِمَا يُؤَثِّرُ كُلٌّ مِنْهُمَا مِنَ النَّقْصِ فِي التَّعْلِيمِ."[39]

المطلب الثاني: إشكالية الحياء والمطالبة بالحقوق

عادة ما يصاحب المطالبة بالحقوق اللجج والجدال والخصومات ورفع الأصوات، وكل هذا مناف للحياء، ومن ثمة يقع الإشكال في الجمع بينهما، غبر أن مدرسة النبوة بينت لنا المنهج الصحيح والصراط المستقيم في ذلك، أنزل رب العزة قرآنا في ذلك باقيا لنا منهاجا إلى يوم الدين. ونورد هنا بعض النماذج من نساء طالبن بحقوقهن من رسول الله ﷺ بكل جرأة ووضوح دون التخلي عن حيائهن، ولم يستنكر ذلك منهن:

1- ما وقع من خولة بنت ثعلبة (المجادلة): (قالت عائشة رضي الله عنها : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه ، وهي

---

[37] - متفق عبيه، أخرجه البخاري في مواضع منها كتاب العلم، باب الحياء في العلم - حديث:129، ومسلم في كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها - حديث:497

[38] أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين - حديث:552، وغيره.

[39] - فتح الباري لابن حجر (1/ 229).

تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول : يا رسول الله ، أكل شبابي ونثرت له بطني ، حتى إذا كبرت سني وانقطع له ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك . قالت عائشة : " فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)[40] والآية في القرآن تبين كيف أن المرأة جاءت لا تطلب حقها فحسب، بل كانت تجادل النبي ﷺ في ذلك حتى سميت السورة باسمها (المجادلة) دون أن يخدش ذلك من حيائها شيئا. ﴿ خ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى ﴾ المجادلة: ١

يبين صاحب التحرير والتنوير غرض السورة: " تَنْوِيهًا بِالْمَرْأَةِ الَّتِي وَجَّهَتْ شَكْوَاهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهَا لَمْ تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ الْعَدْلِ فِي حَقِّهَا وَحَقِّ بَنِيهَا. وَلَمْ تَرْضَ بِعُنْجُهِيَّةِ زَوْجِهَا وَابْتِدَارِهِ إِلَى مَا يَنْثُرُ عِقْدَ عَائِلَتِهِ دُونَ تَبَصُّرٍ وَلَا رَوِيَّةٍ، وَتَعْلِيمًا لِنِسَاءِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَرِجَالِهَا وَاجِبَ الذَّوْدِ عَنْ مَصَالِحِهَا."[41]

2- قصة بريرة مع مغيث (عن ابن عباس ، أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس : " يا عباس ، ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثا " فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لو راجعته " قالت : يا رسول الله تأمرني ؟ قال : " إنما أنا أشفع " قالت : لا حاجة لي فيه)[42]

تصرف بريرة -وهي الأمة- مع ﷺ رسول الله وكيف عارضت توسطته ورفضته دفاعا عن خيارها، دون أن يخدش ذلك في حيائها منه ﷺ، ولم يلمها أحد عن ذلك ولم يوبخها لأنها رفضت شفاعة النبي ﷺ فيه، وهذا من فقه مجتمع النبوة.

3- حديث امرأة رفاعة القرظي: (، أن عائشة ، رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : جاءت امرأة رفاعة القرظي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جالسة ، وعنده أبو بكر ، فقالت : يا رسول الله ، إني كنت تحت رفاعة فطلقني فبت طلاقي ، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير ، وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة ، وأخذت هدبة من جلبابها ، فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن له ، قالت : فقال خالد : يا أبا بكر ، ألا تنهى هذه عما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلا والله ما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على التبسم ،

---

[40] - أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطلاق، أبواب تفريع أبواب الطلاق - باب في الظهار، حديث:1906، وقال الألباني: صحيح. وابن ماجه في سننه كتاب الطلاق، باب الظهار - حديث:2059، والحاكم في المستدرك كتاب التفسير، تفسير سورة المجادلة - حديث:3726، واللفظ له. وقال الألباني: صحيح.

[41] - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 5/28.

[42] - أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة - حديث:4982، وأبو داود في كتاب الطلاق، أبواب تفريع أبواب الطلاق - باب في المملوكة تعتق وهي تحت حر أو عبد حديث:1917، وغيرهما.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة ، لا ، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته " فصار سنة بعد)[43]

وفي رواية زادت الأمر توضيحا (عن عائشة ، قالت : طلق رجل امرأته ، فتزوجت زوجا غيره فطلقها ، وكانت معه مثل الهدبة ، فلم تصل منه إلى شيء تريده ، فلم يلبث أن طلقها ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله إن زوجي طلقني ، وإني تزوجت زوجا غيره فدخل بي ، ولم يكن معه إلا مثل الهدبة ، فلم يقربني إلا هنة واحدة ، لم يصل مني إلى شيء ، فأحل لزوجي الأول ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تحلين لزوجك الأول حتى يذوق الآخر عسيلتك وتذوقي عسيلته) هذه المرأة لم يمنعها حياؤها من طلب حقها، وطلب حكم الشرع في المسألة. مع أن بعض الصحابة استهجن تفصيلها للقضية، إلا أن رسول الله ﷺ لم يزد في ردة فعله على التبسم، متعجبا من صراحتها.

المطلب الثالث: إشكالية الحياء وقول الحق.

الله علمنا عدم الاستحياء من قول الحق والصدح به ألا وكذا علمنا النبي ﷺ عن السكوت وكتم الحق يدحل صاحبه النار (من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)[44]
ومن ثمة يقع الإشكال بين الحياء وبين الصدح بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كون البلاغ والبيان يحتاج إلى قوة منطق ومحاجة ومجادلة ومعارضة وتعرض للأذى، والحياء يتطلب الترك.

غير أن سيرة مجتمع النبوة وعلى رأسهم رسول الله ﷺ علمنا أن الحياء الذي يمنع من قول الحق هو خور وجبن وضعف إيمان لا علاقة له بالحياء، في مواقع كثيرة ونماذج فريدة.

فالإسلام دين الوسطية لا إفراط ولا تفريط، في العقائد والشرائع والأخلاق، بما فيها خلق الحياء، فالحياء الذي يمنع صاحبه من قول الحق والأر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يعد خلقا حميدا بل صار من السلوكات المذمومة التي يحاسب العبد عليها، بل العكس هو ما حث عليه الشرع حيث عد ذلك من الشجاعة والجرأة في الحق ومن أعلى مراتب الجهاد حين قال النبي ﷺ : (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ، أو أمير جائر)[45]

---

[43] - متفق عبيه، أخرجه البخاري، في كتاب اللباس، باب الإزار المهدب - حديث:5463، وفي غيره، ومسلم في كتاب النكاح، باب لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح زوجا غيره - حديث:2665. واللفظ للبخاري.

[44] - أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب العلم، ومنهم يحيى بن أبي المطاع القرشي - حديث:315، وصححه الألباني، وابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، ذكر خبر ثان - حديث:96، وابن ماجه في سننه، المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب من سئل عن علم فكتمه، ح 263

[45] - أخرجه أبو داود في سننه، - كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي - حديث:3802، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - حديث:4010، والترمذي في جامعه، أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر،حديث:2151، والنسائي في سننه،

وهذا ما أكده القرطبي بقوله: "وقد يُفرِطُ الحياءُ على بعضِ الناس، حتَّى يمنعَهُ ذلك من القيامِ بحقِّ الله تعالى من الأمرِ بالمعروفِ وتغييرِ المنكر، ويحملَهُ على المداهنة في الحَقِّ، وكلُّ ذلك حياءٌ مذمومٌ شرعًا وطبعًا ، يحرُمُ استعمالُهُ، ويجب الانكفافُ عنه؛ فإنَّ ذلك الحياءَ أحقُّ باسم الجُبنِ والخَوَر، وأَولَى منه باسمِ الحياءِ والخَفَر."[46]

" وَكَذَلِكَ لَمْ يَرِدْ شَرْعٌ بِالْحَيَاءِ الْمَانِعِ مِنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَالْحُكْمِ بِالْحَقِّ وَالْقِيَامِ بِهِ وَأَدَاءِ الشَّهَادَاتِ عَلَى وَجْهِهَا وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ."[47]

وسيرة رسول الله ﷺ كلها جهاد وبيان حق وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر من غير مداهنة للكفار ولا استكانة، مع أنه عرف ﷺ بأنه أشد حياء من العذراء (كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه)[48].

جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا ، فكان فيما قال : " ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه " قال : فبكى أبو سعيد ، وقال : " قد والله رأينا أشياء فهبنا)[49].

" قال القرطبي: وإنه (ﷺ) كان يأخذ نفسه بالحياء ويستعمله، ويأمر به، ويحضُّ عليه... ومع هذا كله فكان لا يمنعه الحياء من حقٍّ يقوله، أو أمر ديني يفعله، تمسُّكًا بقول الحق: {وَاللَّهُ لا يَستَحيِي مِنَ الحَقِّ} وهذا هو نهاية الحياء، وكماله، وحسنه، واعتداله، فإنَّ من يفرط عليه الحياء حتى يمنعه من الحق فقد ترك الحياء من الخالق، واستحيا من الخلق، ومن كان هكذا فقد حرم نافع الحياء، واتصف بالنفاق والرياء، والحياء من الله هو الأصل والأساس، فإنَّ الله تعالى أحق أن يستحيا منه من الناس.."[50]

المطلب الرابع: الحياء وفقه الموازنات

كما علمنا مجتمع النبوة فقه الموازنات، إذا تعارض الحياء ومطلب آخر أيهما يقدم؟ هنا بحسب الحاجة، قد رأينا فيما سبق، إذا تعارض الحياء وواجب قدم الواجب، ولكن إذا تمكن

كتاب البيعة، فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر - حديث:4159، والحديث صحيح لغيره (الألباني)، واللفظ لأبي داود.

[46] - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 219)

[47] - المنتقى شرح الموطأ، الباجي، (7/ 213)

[48] - متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب - حديث:5757، وفي غيره، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم - حديث:4386.

[49] - أخرجه ابن ماجه في سننه، - كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - حديث:4005، ,احمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - حديث:10804، وصححه الألباني.

[50]-المفهم لم أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، 115/6

من ينوب عن صاحب الحياء في أداء الواجب فعل ذلك، حتى لا يضيع حق أو علم، وهذه نماذج من ذلك توضح بجلاء فقه الصحابة ومراعاتهم لجانب الحياء وعدم تضييعهم للخير:

1- حديث علي رضي الله عنه: (قال: كنت رجلا مذاء وكنت أستحيي أن أسأل النبي صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: " يغسل ذكره ويتوضأ.)[51]

ومن فقه البخاري أن ترجم للباب بقوله:(باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال) أي من وجد حرجا في السؤال فليوكل صاحبا له يسأل مكانه حتى لا يضيع العلم بسبب الحياء. قال ابن بطال: " إنما استحيا على أن يسأل رسول الله لمكان ابنته، وهذا الحياء محمود، لأنه لا يمتنع به من تعلم ما جهل وبعث من يقوم مقامه في ذلك، ففيه: الحياء من الأصهار في ذكر أمور الجماع وشبهه. "[52]

2- حديث أسماء زوجة الزبير رضي الله عنهما: (وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي ، وهي مني على ثلثي فرسخ ، فجئت يوما والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار ، فدعاني ثم قال : " إخ إخ " ليحملني خلفه ، ف استحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت فمضى ، فجئت الزبير فقلت : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسي النوى ، ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب ، فاستحييت منه وعرفت غيرتك ، فقال : والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه ، قالت : حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس ، فكأنما أعتقني.)[53] فهذه السيدة أسماء بنت الصديق رضي الله عنها، وازنت بين الخدمة التي عرضها عليها رسول الله ﷺ وهي مساعدتها وإردافها على راحلته رحمة بها (وهو أمر مباح) وبين حيائها منه وتذكر غيرة زوجها عليها، فتركت المباح حفاظا على حيائها واحتراما لزوجها، وهذا من فقه والفهم. وعلق القرطبي على قول الزبير رضي الله عنه(لحملك النوى أشد علي...) تعليقا لطيفا حول حياء الزبير: " وأخرج هذا القول من الزبير فرط الاستحياء المجبول عليه أهل الفضل. ويعني بذلك: أن الحياء الذي لحقه من تبذلها بحمل النوى على رأسها أشدُّ عليه من الغيرة التي كانت تلحقه عليها لو ركبت مع

---

[51] - متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال - حديث:131، ومسلم في كتاب الحيض، باب المذي - حديث:482، واللفظ له.

[52] - شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 212/1.

[53] - متفق عليه، أخرجه البخاري في - كتاب النكاح، باب الغيرة - حديث:4930، ومسلم في كتاب السلام باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق - حديث:4145، واللفظ للبخاري.

النبي صلى الله عليه وسلم، فإنَّه - صلى الله عليه وسلم - ليس ممن يغار على الحريم لأجله. والله تعالى أعلم."[54]

3- حديث عائشة رضي الله عنها في حكم الاستطابة: (قالت : مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء ، فإني أستحييهم ، " " فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله.)[55] فلما وجدت السيدة عائشة رضي الله عنها مخرجا لإبلاغ الرجال بحكم الاستطابة (الاستنجاء بالماء) وهو أمر زوجاتهم بتبليغهم فعلت ذلك من باب الحياء منهم.

فهذا من فقه مجامع النبوة وحرصه على حفظ الحياء في المجتمع إذا وجد مخرج آخر للتعلم وتعليم الناس وحفظ الحقوق والحرمات.

هذه نماذج قليلة عن قيمة الحياء في مجتمع النبوة، تبين لنا أن الحياء كان هو الصبغة العامة للأمة حيث نلمسها في كل حياتهم مع واقعية ووسطية لا إفراط فيها ولا تفريط، حياء يمنع التبذل وشيوع الفاحشة، وفقه لا يمنع من طلب الحق والأمر به بحجة الحياء.

<u>خاتمة:</u>

- الحياء فطري ومكتسب، فكل مولود يولد فيه حياء، من التزم دين الله حافظ على تلك الفطرة ونماها، ومن فارق منهج الله ضل وانحرف وأفسد فطرته فهتك ستر الحياء وستر الجسد، فتدنى إلى دركات البهيمية، وهذا ما نشهده في المدنية الغربية من شذوذ وانحلال وانقلاب على الفطرة، وتغيير خلق الله.
- الفطرة هي الصبغة التي خلق الله عليها الإنسان في جانب الروح لا الجسد، وما كان متعلقا بالجسد فهو الغريزة.
- الحياء هو فطرة الإسلام وشعاره، نلمسه في كل تعاليمه: عقيدة وشريعة وسلوكا.
- الحياء قرين الإيمان، إذا رفع أحدهما رفع الآخر.
- أول فطرة أراد إبليس إفسادها على سيدنا آدم في الجنة هو الحياء، وأول قيمة أراد إسقاطها عنه هي الستر.
- الستر من آكد مظاهر الحياء، وهو من مفاتيح الأمان في الأمة وفي المجتمعات، فإذا فقد الحياء فقد الستر، وشياطين الجن والإنس يريدون تعرية البشر لإسقاط الحياء عنهم، فتعم الرذيلة ويسود الانحلال.

---

[54] - المفهم، أبو العباس القرطبي: 520/5.

[55] - أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الطهارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب الاستنجاء بالماء - حديث:20، وقال هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في سننه، كتاب الطهارة، باب ذكر الفطرة - الاستنجاء بالماء، حديث:46.

- مجتمع النبوة هو النموذج في تجسيد خلق وقيمة الحياء والستر، ستر عورات الأجساد والنفوس، وذلك بالامتثال لأمر الله وأمر رسوله والتجمل بالأخلاق الحميدة من تقوى الله ومراقبته في السر والعلن، والحياء منه قولا وعملا.
- وسطية الإسلام تجسدت في خلق الحياء في مجتمع النبوة، فحياؤهم كان هو الحافظ للمجتمع من الرذيلة والفحش والفساد، ومع ذلك لم يمنعهم حياءهم من طلب العلم ولا من المطالبة بحقوقهم ولا من الأمر بالمعروف ولا لنهي عن المنكر.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.
2- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار طوق النجاة، ط 1، 1422ه.
3- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
4- موطأ مالك، مالك بن أنس، تح محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، أبو ظبي، الإمارات، ط 1، 2004م.
5- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت،1998 م.

-6 سنن أبي داود، أبو سليمان بن الأشعث، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
-7 سنن النسائي، (المجتبى من السنن، أبو عبد الرحمن النسائي، تح عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط 2، 1986م.
-8 سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
-9 مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تح أحمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط 1، 1995م.
-10 صحيح ابن حبان، أبو حاتم ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1988م.
-11 المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العمية، بيروت، ط 1، 1990م.
-12 معجم الطبراني، أبو القاسم الطبراني، طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني
الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
-13 نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، مجموعة من الباحثين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة
الطبعة : الرابعة.
-14 تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، تح ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى،.
-15 الترغيب والترهيب للمنذري، تح مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر
(تصوير/ دار إحياء التراث العربي - بيروت)، الطبعة: الثالثة، 1968 م
-16 الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، تح حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، م 1992.
-17 الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري . محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر
-18 النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م .
-19 تهذيب اللغة ، الأزهري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
-20 شرح صحيح البخاري، ابن بطال ، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط 2، 2003م.
-21 التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387ه.
-22 التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، عالم الكتب -القاهرة، ط 1، 1990م.
-23 شرح النووي على مسلم ، أبو زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392ه.
-24 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العباس القرطبي، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، ط 1، 1996م.
-25 فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر ، دار المعرفة - بيروت، 1379ه.
-26 الذريعة الى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تح أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، 2007 م
-27 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تح عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422ه.

28- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

29- دين الحياء، طه عبد الرحمن، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط 1، بيروت، 2017م.
30- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت،
31- في ظلال القرآن، سيد قطب، 492/3-493. دار الشروق، القاهرة، ط 10، 1982م.
32- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.
33- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي، مطبعة السعادة ، مصر، ط 1، 1332ه.